واقع حرفة الزربية في الجزائر ما بين سنتي 1945 -1954

من خلال قراءة في نشرية الوثائق الجزائرية

The reality of the carpet craft in Algeria between the years 1945-1954, through reading in the Algerian Documents Bulletin

بليل محمد♦ جامعة ابن خلدون تيارت
mohammed.blil@univ-tiaret.dz

تاريخ الإرسال: 2024/02/22 تاريخ القبول: 2024/05/26 تاريخ النشر: 2024/06/30

الملخص: تتناول هذه الدراسة، موضوعا في غاية الأهمية عن واقع الحرف الجزائرية عموما وصناعة الزربية التقليدية بشكل خاص، نظرا لأهميتها الاقتصادية لدى المجتمع الجزائري الذي اندمج مع الاقتصاد الكولونيالي بالاعتماد على المواد الاولية الطبيعية التقليدية التي استخدمها الحرفيون الجزائريون عبر التاريخ والمواد النباتية الحديثة المستوردة من قبل فرنسا .

ونظرا لأهمية الحرف التقليدية الجزائرية، خاصة حرفة صناعة الزربية بشكل تقليدي أو هجين بين التقليد والصناعة الحديثة، حاولت قراءة بعض الدراسات المنشورة في الأرشيف الفرنسي خاصة بنشرية الوثائق الجزائرية التي كانت تصدرها الحكومة العامة وكانت من حين لأخر تنشر دراسات لمتخصصين من الحرف الجزائرية، حيث نشرت عدة مقالات عن حرفة الزربية و مكانتها لدى المجتمع الجزائري .

ولهذا الغرض حاولت استخلاص أهم آليات هذه الصناعة الحرفية عند الجزائريين من خلال الدراسات المنشورة، مستنبطا واقعها وأهميتها الاجتماعية والثقافية والحضارية لدى المجتمع الجزائري وتطورها والصعوبات التي واجهت هذ الحرفة.

الكلمات المفتاحية: الحرف التقليدية؛ الاستعمار الفرنسي؛ نشرية الوثائق الجزائرية؛ المجتمع؛ الزربية.

Abstract:

This study deals with a very important topic about the reality of Algerian crafts in general and the traditional carpet industry in particular, given its economic importance to Algerian society, which has integrated with the colonial economy by relying on traditional natural raw materials used by Algerian craftsmen throughout history and modern plant materials imported from France.

♦ المؤلف المرسل

Given the importance of Algerian traditional crafts, especially the craft of making carpets in a traditional way or a hybrid between tradition and modern industry, I tried to read some studies published in the French archives, especially in the Algerian Documents Bulletin, which was issued by the general government and from time to time published studies by specialists in Algerian crafts, as it published several Articles about the carpet craft and its status in Algerian society.

For this purpose, I tried to extract the most important mechanisms of this craft industry among Algerians through published studies, deducing its reality, its social, cultural and civilizational importance to Algerian society, its development, And the difficulties faced in this craft.

key words: Traditional crafts ؛French colonialism ؛Algerian documents publication ؛ society ؛ carpet

مقدمة:

عرفت الصناعات الحرفية تطورا ملحوظا لدي الجزائريين عبر العصور بمناطق مختلفة من الجزائر، وازدادت أهميتها خلال الفترة العثمانية التي أصبح لها وكلاء و نقباء وكانت تجارتها مزدهرة مع أوربا، حيث عرضت مبيعاتها بالشوارع الكبرى بالمدن الفرنسية، كمثال حي عن هذا الازدهار من خلال ما ورد في دراسات مختصين وكتاب فرنسيين ؛ خاصة العسكريين منهم.

وخلال فترة الاحتلال الفرنسي، أهتمت بها مصلحة الحرف لدى الحكومة العامة وقدمت لها التسهيلات من أجل الحفاظ عليها رغم منافسة الصناعات الحديثة، إلاّ أن المجتمع الجزائري حافظ على هذا الموروث الحضاري الذي عبر عنه الكثير من المختصين بتحديه لمنافسة الصناعات الفرنسية، وكانت حرفة الزربية من أهم حرف المنسوجات التي حافظت على وجودها خلال هذه الحقبة، حيث أشارت نشريات متخصصة لأهميتها وقدمت لنا دراسات مركزة ومتخصصة عن صناعة الزربية التقليدية والمشاكل التي واجهتها، وقيام فرنسا بتكوين يد عاملة متخصصة في مراكز التكوين الخاصة بهذه الحرفة .

ولذلك قمت بقراءة لما ورد عن هذه الحرفة بالأرشيف الفرنسي من خلال تقارير الحكومة العامة في سجلاتها الخاصة بالوضعية العامة للمجتمع الجزائري وكذا النشريات المتخصصة التي اهتمت بحرفة الزربية التي عرفت انتشارا واسعا من منطقة جبل عمور بآفلو بالجنوب الغربي الى قلعة بني راشد ومعسكر وتلمسان، مرورا بمنطقة سطيف والقبائل والشرق الجزائر والجنوب الشرقي من الجزائر، حيث أظهرت لنا مختلف الدراسات لواقع صناعة الزربية ومكانتها الحضارية والاجتماعية والاقتصادية، ولدى المجتمع الجزائري.

تتبعت المنهج الوصفي التاريخي لما ورد من دراسات عن النشاط الحرفي للزربية، محاولا تحليل مظاهر صناعتها ومكانتها الاقتصادية والحضارية لدى المجتمع الجزائري.

1 –الصناعات الحرفية عند الجزائريين تاريخيا وجغرافيا:

اهتم الجزائريون عبر العصور بالاعتناء بمنازلهم وخيمهم بالمدن والأرياف بالصناعات التقليدية ذات جودة عالية، تكون ملازمة لواقعهم المعيشي والثقافي المستوحى من تراثهم التاريخي من أفرشة وأواني فخارية وزرابي ومنسوجات مختلفة وصناعة الجلود والدباغة التي تطورت حسب حاجيات المجتمع الجزائري، حيث لازالت أثارها المادية اللامادية متواجدة الى اليوم من خلال دراسات مونوغرافية [1]وكتابات الرحالة الأوربيين أمثال شاو[2] والعسكرين الفرنسيين، أمثال روزت Rozet، وماري آن دي بوفات Marie Anne de Bovet.[3]

حيث ازدهرت الصناعات الحرفية في الجزائر عبر العصور، خاصة على عهد الفترة العثمانية، حيث اتضحت طبيعة هذه الصناعات التقليدية، التي أصبح لها متخصصوها ونقبائها وتجارتهم الرائدة داخليا وخارجيا، وأصبح ذات مكانة اقتصادية لصالح أنماط معيشتهم، حيث اعتمد الجزائريون على الامكانيات المتاحة من مواد أولية معدنية ونباتية وتحويلها حسب طرائق الصناعة التقليدية بالبيوت وبعض الورشات المتخصصة التي فرضتها الضرورة الاجتماعية والاقتصادية ؛ودمجها بالمورث الثقافي المشرقي والعثماني والمحلي الضارب في أعماق التاريخ .

وبذلك فالمجتمع الجزائري أولى اهتماما بالغا بالحرف التقليدية بحكم عدم دخول الصناعات الحديثة المنبثقة عن الثورة الصناعية إلا مع التواجد الفرنسي بالجزائر، فازدهرت هذه الحرف حسب الامكانيات المتاحة بالحواضر الكبرى كتلمسان ومعسكر وقلعة بني راشد وجبل عمور والقطاع القسنطيني وبمناطق الجنوب الكبرى من توات بالجنوب الغربي إلى منطقة غرداية وواد سوف وبسكرة والأوراس بالجنوب الشرقي والمناطق الشرقية الداخلية من الجزائر.

1- Centre Archive d'Outre Mer(CAOM), arrondissement de Tiaret , Étude géographique de département de Tiaret, Boite N°7G/1009

2 - DR Chaw Voyage dans la Régence D'Alger, traduit de L'Anglais J. Mac Carthy Mardin Éditeur Paris 1830 p10-20

3 -Marie-Anne Bovet ;L'Algérie , E. DE BOCCARD, EDITEUR, Successeur de FONTEMOING & Cie,1, RUE DE MÉDICIS, 1 PARIS 1 9 20 p 187-190

ذلك ما ورد في مقال هام عن صناعة زربية القرقور بناحية سطيف التي أشارت الى التطور التاريخي للحرف التقليدية بالجزائر قبل الاحتلال الفرنسي[4].

كانت هذه الحرف بقيادة أسر مهتمة بها من خلال مدخولهم المعيشي ولوازم حياتهم اليومية من مأكل وشرب وملبس ومسكن، حيث عرفت ازدهارا بالغا خلال الفترة العثمانية؛ حسب ما ورد في وثائق الأرشيف الفرنسي، من تقارير عن الحياة اليومية للجزائريين باعتنائهم بالحرف التقليدية بالورشات والمنزل من قبل فئات عديدة، تحت رقابة الدولة العثمانية التي كانت تأخذ الضرائب عنها لتمويل اقتصاد الجزائر؛ خاصة مع تدهور الجهاد البحري أو ما كان يعرف في التقارير الأوروبية بالقرصنة .

يدل ذلك في نظرنا الى اهتمام الجزائريين بهذه الحرف لمكانتها الاقتصادية والاجتماعية والفنية أيضا بإدخال فن الطرز وأشكال هندسية وألوان متعددة مستنبطة من الطبيعة المحلية حسب مناطق الجزائر الواسعة، وهذا ما أشارت له إحدى الباحثات الجزائريات التي نقلت لنا تقارير من الحكومة العامة الفرنسية، كانت تتابع التطور التاريخي لهذه الحرف والقيام بتدعيمها من قبل الحكومة العامة التي وصفت لنا في تقاريرها السنوية أبرز هذه الحرف، بما فيها صناعة الزربية موضوع دراساتنا [5].

لكن مع بداية الفترة الاستعمارية فقدت هذه الحرف الكثير من مميزاتها ومكانتها بين الأوساط الشعبية لعدة اعتبارات منها :

4- Gérard Boëly, Pierre Guichard et Mahmoud Ourabah, « Autour d'un « tapis du Guergour » présenté à l'exposition universelle de Paris de 1889 », *Revue des mondes musulmans et de la Méditerranée* [En ligne], 149 | 2021, mis en ligne le 21 avril 2021, consulté, le 27janvier2024. URL : http://journals.openedition.org/remmm/15028 ; DOI : https://doi.org/10.4000/remmm.15028 site électronique entré le 27-01-2024

5- ينظر عدة مصادر و مراجع تناولت موضع الصناعات الحرفية في الجزائر في أواخر الفترة العثمانية وفترة الاحتلال الفرنسي للجزائر :

- Gouverneur Général de L'Algérie M.C. Jonnart Exposé de la situation des territoires du sud 1909 ed Typographie Adolphe Jourdan Alger 1910 p82

خديجة بختاوي :"الحرف في عمالة وهران غبان الاحتلال الفرنسي من خلال وثائق أرشيفية "مجلة العبر للدراسات التاريخية و الاثرية في شمال افريقيا بجامعة تيارت عدد خص 02، أفريل 2022 ص 359-383

- الاحتلال الفرنسي للحواضر والبوادي الجزائرية من خلال سياسة الاستيطان والتوسع على حساب أراضي الجزائريين وسكناتها وغلق محلاتهم منها ورشات الحرف التقليدية، التي هاجرها أصحابها هروبا من البطش الاستعماري .وقيام فرنسا بإخضاع القبائل وتطبيق تشريعات عقارية عليها جعلتهم يفقدون استقراهم الاجتماعي ومنظماتهم المختلفة .
- بعد الاستقرار واندماج المجتمع الجزائري مع المنظومة الفرنسية الإدارية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، وجد الجزائريون المتبقون الممارسون للحرف السابقة الذكر أنفسهم أمام منافسة السلع الأوربية المصنعة بتكاليف أقل تكلفة من حرفهم، بسبب قلة الإمكانات المالية ولبشرية المتخصصة .
- هجرة اليد العاملة الجزائرية نحو المهجر، حيث تنبهت السلطة الاستعمارية لذلك، فقامت بتشجيع ما تبقى من حرف من أجل الحفاظ على الاطار البشري لها، حيث قدمت الحكومة العامة أوامر للبلديات الكاملة الصلاحيات والمختلطة عبر برنامجها الاقتصادي من خلال المجلس المالي والمندوبيات المالية، بهدف تحفيز أصحاب هذه الحرف بإنشاء مدارس تكوين خاصة للجزائريين أو كما كان يطلق عليهم في التقارير الفرنسية بالأهالي او الجزائريين المسلمين في محطات تاريخية لاحقة .

ومن هذا المنطلق أعيد احياء هذه الحرف من قبل الإدارة الاستعمارية للحفاظ على المستوى المعيشي للجزائريين وخوفا من انهيار هذا المجتمع، كما وقع بمجاعات القرن التاسع عشر وتدارك أخطاء التسيير بالقضاء على خصوصيات المجتمع الأهلي الذي أصبح ينظر له كقوة اجتماعية و اقتصادية؛ ضرورية في اقتصاد المستعمرة الفرنسية فيما وراء البحر .

بذلك شجعت السلطة الاستعمارية الحرف التقليدية المتبقية من صناعة الجلود والنسيج بمختلف أنواعه، خاصة نشاط حرفة الزربية التي حافظت على وجوده بسبب مكانتها لدى المجتمع الجزائري .

وقدمت لنا تقارير أرشيفية ودراسات لعسكريين فرنسيين أماكن تواجد هذه الحرف مع بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر، خاصة حرفة صناعة الزربية لارتباطها بأفرشة المنازل بالحواضر الجزائرية بتلمسان وقلعة بني راشد وقسنطينة جبال عمور و الأوراس وبالمناطق الصحراوية بجنوب الجزائر، حيث تطرقت الوثائق الجزائرية التابعة للحكومة العامة في دراسات لمتخصصين في هذا المجال بأهميتها الاجتماعية والاقتصادية، وأن الجزائريين كانوا فخورين بهذه الحرف، لأنها تمثل في نظرهم هويتهم الثقافية والحضارية أمام الوافد الجديد المتمثل في الإدارة الاستعمارية التي حولت منذ البداية القضاء عليها، قبل أن تتدارك الحكومة العامة لهذه الحرف وتحفز الصانعين لها على مواصلة أنشطتهم.

وقدمت لنا تقارير الولاة ورؤساء البلديات الكاملة الصلاحيات والمختلطة معلومات ثرية عن صناعة الزربية على وجه الخصوص، لأنه من بين الحرف التي حافظ عليها الجزائريون عبر

التاريخ، وقدمت لنا الدراسات المنوغرافية بمختلف دوائر العمالات الثلاثة وتداول عنها أعضاء المجالس العامة في كثير من الدورات [6]، مطالبة الأعضاء الممثلين للسكان الجزائريين بالاهتمام بأنشطة الجزائريين الحرفية ومنها على وجه الخصوص صناعة الزربية.

2 – دراسة فنية واجتماعية لحرفة الزربية في الجزائر خلال النصف الأول من القرن العشرين

شهدت حرفة الزربية تطورا تاريخا ملحوظا خلال النصف الأول من القرن العشرين بسبب مستجدات اقتصادية واجتماعية وأحاطت المشروع الاستعماري الذي احتفل بمئوية الاحتلال سنة 1930، ودخول الصناعة الفرنسية بشكل كثيف، مما أدى بممثلي الجزائريين بمختلف المجالس المنتخبة وبأوساط شركات الاحتياط ومصالح الصناعات التقليدية الى التنبيه الى خطورة انهيار الحرف التقليدية الجزائرية، مما ادي بالحكومة العامة عبر مختلف مؤسساتها إلى طمأنة المجتمع الجزائري بالحفاظ على هويته وخصوصياته المميزة باحترام عاداته و تقاليده منها الحفاظ على بعض الصناعات الحرفية كالزربية التي أصبح لها مكانة هامة في كثير من الحواضر والارياف كمنطقة جبل عمور بأفلو[7] وبقلعة بني راشد ومنطقة قرقور بين تزي وزو وكذا منطقتي تبسة والأوراس وغرداية وبسكرة سطيف.

2-1– صناعة الزربية كحرفة مميزة للمجتمع الجزائري

عرفت حرفة الزربية حسب نشرية الوثائق الجزائرية، عدة مراحل في تطورها التاريخي وصولا الفترة الاستعمارية، حيث أشارت الى تواجد حرف صناعة الزربية عبر العصور بالجزائر منذ أقدم الحضارات التي مرت عليها بلاد نوميديا والمغرب الأوسط بمختلف أماراته و دوله، حيث تناولتها بشكل واضح لتراثها العريق متأثرة بأحوال سكانها الذين تأثروا بحضارات الشرق القديمة المصرية و اليونانية والرومانية، هذه الأخيرة التي عمرت لمدة قرون بالمنطقة، ثم البلاد المشرقية الإسلامية بما حملته من تراث حضاري أثر على سكان المغرب ألأوسط بحواضرهم وبواديهم، بأن أصبحت الزربية نمط حياة اقتصادي ملازم للجزائريين في خيمهم و منازلهم واستخدام مختلف الأنسجة الأخرى في حياتهم اليومية، وازدهرت خال الفترة العثمانية من خلال شهادا الرحالة الأوربيين والمسلمين على السواء الذين تناولوا في مذكراتهم الى ملبس وخيم و أفرشة الجزائريين، بانها جزءا من ترثهم التاريخي .

- 6- محمد بليل، المجالس العامة للعمالات في الجزائر وقضايا الجزائريين ج2، دار سنجاق االدين للنشر التوزيع الجزائر ، 2013 ص 120-130

- 7- علي زرارقة :" **العادات و التقاليد بجنوب تيارت خلال الفترة الاستعمارية 1830-1872،جبال عمور نموذجا** " مجلة العبر للدراسات التاريخية و الأثرية بجامعة تيارت، عدد خاص 02، أبريل 2022 ص 290-113

نستخلص مما سبق ذكره، تمسك الجزائريين بهذه الحرفة التي أدخلوا عليها تعديلات في التصاميم والزخرفة والألوان، ولذلك عرفت هده الحرفة بروز متخصصين في هذا الفن كالرقامين الذين وضعوا أشكالا هندسية، وقام الرجال والنساء على السواء بصبغها حسب أماكن تواجدهم ومتأثرين بالفن المشرقي أو الأناطولي العثماني أو الأوروبي، بعد ما تمّ ادخال صناعات فرنسية إلى الجزائر بتوفير المواد المحلية و الأجنبية لصناعة الزربية .

ومن هذا المنطلق فنشرة الوثائق الجزائرية ركزت في دراساتها عن الحرف التقليدية اهتماما بالغا بها بتطورها ومكانتها لدى المجتمع الجزائري، باعتبارها حرفة رائدة تحدت مختلف المعوقات المادية و البشرية، واعتبرت صناعة السجاد التقليدية أو المخضرمة مع الصناعة الحديثة بمكانة في المجال الاقتصادي من خلال تسويقها واعتبارها موردا ماليا للجزائريين [8].

2-2- أماكن تواجدها

إن تصفحنا للعديد من مصادر الحكومة العامة في الجزائر من خلال نشراتها الاقتصادية، قدمت لنا معلومات ثرية عن تاريخ تواجد حرفة الزربية التقليدية أو السجاد بشكل عام خلال الفترة الاستعمارية، خاصة ما بين سنتي 1945 -1954، عبر القطر الوطني بشكل مفصل من حيث المراكز الحرفية التي تطورت عبر التاريخ، أو الورشات الخاصة ومراكز التكوين المهني عبر العديد من المناطق الريفية و الحضرية التي اكتسبت شهرة عالمية في ما يلي :

2-2-1- الحرف التقليدية وصناعة الزربية بعمالة وهران وإقليم الجنوب الوهراني

قدّمت لنا الدراسات المنشورة بنشرية الوثائق الجزائرية التابعة للحكومة العامة من خلال القسم الاقتصادي لسنوات مختلفة، المناطق الكبرى التي تشتهر بها حرفة صناعة الزربية التقليدية من محور تلمسان مرورا بوهران ومعسكر وصولا إلى جبال عمور ومنطقة أدرار كالآتي :

- **المنطقة الشمالية الغربية** : تتمثل في الصناعات الحرفية المختلفة من نسيج و دباغة وحدادة وصناعة الجلود والصوف والسجاد بشكل خاص، باعتباره موضوع دراساتنا، حيث ركزت مختلف الاعداد بين سنتي 1945-1954الى تواجد هذه الحرفة[9]، حيث تناولت مختلف الدراسات المنشورة بهذه النشرية إلى تواجد صناعة الزربية بكل من تليمسان خاصة ندرومة والمناطق الريفية بمغنية وسبدو ووهران ومعسكر، خاصة بمنطقة قلعة بني راشد حاليا

8 - G.G.A documents Algériens artisanat en Algérie, Synthèse de L'Activité Algérienne 1953 p31-35

9 - GGA - Documents Algérien série économique Artisanat du Tapis 3 décembre 1953 N014

تابعة لغليزان، التي اشتهرت بالسجاد منذ الفترة العثمانية وحافظت المنطقة على هذه الصناعة وتورثها أجيال المنطقة بمختلف صيغها وتركيباتها.

- **الهضاب العليا الغربية** : اشتهرت هذه المنطقة بالصناعات الحرفية عبر مراحل تاريخ استيطان البشر بهذه المنطقة التي غلب عليها السكان البدو والرحل، الذين كانوا بأمس الحاجة الى الاعتماد على أنفسهم في ملبسهم وخيمهم، حيث اشتهرت منطقة جبال عمور، خاصة منطقتي أفلو والبيض بصناعة حرفة السجاد بمختلف أنواعه وتم تدعيم هذه الحرفة خلال الفترة الاستعمارية .

عرفت منطقة الأطلس الصحراوي الغربي هذه الحرفة بشكل بارز، **فأفلو** تقع في الجنوب شرق عمالة وهران، بينما البيض تقع جنوب غرب العمالة، حيث تتشابه المنطقتين في انتاج الزربية بمختلف أنواعها حسب دراسة نشرية الوثائق الجزائرية ودراسات أخرى [10]، وهي تتكون من ساكنة قبائل الرحل وبعض العائلات المستقرة في القرى الاستعمارية كأفلو والبيض، هاتين المدينتين اشتهرتا بنوع خاص من صناعة الزربية بسبب الألوان الغالبة عليها والصباغة المتنوعة .

- الجنوب الغربي بأدرار وتميمون، حيث عرفت العديد من الصناعات الحرفية، خاصة صناعة الزربية التي كانت تمثل مرحلة انتقالية ما بين الصحراء الكبرى و الجنوب الغربي من الجزائر .

- **عمالة الجزائر والإقليم الجنوبي الاوسط بإقليم غرداية :**

تواجدت حرفة صناعة الزربية التقليدية مع ادخال وسائل عصرية عليها خلال الفترة الاستعمارية بمناطقة عديدة بعمالة الجزائر واقليمها الجنوبي الأوسط من العاصمة التي اشتهرت بصناعة الزربية العثمانية الى شرشال غربا و لمدية والاغواط والجلفة لغاية غرداية بصناعة ممتازة للزربية متأثرة بالنموذج المشرقي والجزائري الأصيل بالمناطق الجنوبية للعمالة [11]، دون أن ننسى سجاد منطقة القبائل خاصة زربية منطقة قرقور شرق مدينة تزي وزو التي عرفت شهرة بالغة من خلال العديد من الدراسات التي تناولت هذا النموذج المتأثر بالشرق والذي تأصل جزائريا بفضل اليد الجزائرية الحرفية [12].

-عمالة قسنطينة واقليم توقرت والوحاة الشرقية

---

10 -Document Algérien 1953 àp cit
قارن علي زرارقة، مرجع سابق

11 -Document Algérien : « Artisanat Traditionnel dans le département D'Alger et les territoires de Ghardaïa »paru le 21 septembre 1853

12 - Gérard Boëly, Pierre Guichard et Mahmoud Ourabah ;op cit

عرف هذا الإقليم بدورة حرفا عديدة خلال الفترة الاستعمارية، من أبرزها حرفة الزربية بحواضر وأرياف العمالة كقسنطينة وتبسة و لمسيلة وبرج بوعريريج والوادي، والصومام شمال العمالة، وبالجنوب الشرقي كتقورت والوادي وبسكرة، حيث عرفت تواجد ورشات خاصة وكذا بمنازل العائلات، التي اهتمت بهذه الحرفة .

نستخلص مما سبق لنا ذكره عن تواجد هذه الحرفة عبر القطر الجزائري، بانها ذات منفعة عائلية واجتماعية واقتصادية، كانت لها خصوصيات حضارية انطلاقا من الواقع الثقافي وخصوصيات كل منطقة من العمالات الثلاثة خلال الفترة الاستعمارية .

2-3- مكانتها الاقتصادية والحضارية لدى المجتمع

ان تتبعنا لتطور الصناعة الحرفية عموما بالجزائر، وحرفة الزربية خصوصا، بأنها عكست لنا تطور المجتمع الجزائري عبر حقب زمنية سابقة واتضحت جليا خلال الفترة الاستعمارية من خلال المصادر الفرنسية نفسها التي اهتمت بهذه الحرفة لخصوصياتها الحضارية ومكانتها الاقتصادية لدى المجتمع الجزائري[13] .

- ترجع أهميتها ومكانتها الاقتصادية لصالح المجتمع الجزائري، الذي اعتمد على نفسه في ملبسه و مأكله ومسكنه بعيدا عن الاندماج في المجتمع الصناعي الفرنسي، الذي حاول ادماجه واخضاعه للتشريعات الاستعمارية بإجباره بالتعامل مع المؤسسة الاقتصادية الاستعمارية من جهة، والحفاظ على هذه الحرفة التي باتت دخلا للعائلات الجزائرية لميزانية المستعمر عبر البلديات و العمالات لتمويل الاقتصاد الاستعماري من جهة أخرى .

-اندمج العديد من الحرفيين لصناعة الزربية في العمل التجاري ببيع منتوجاتهم للأسواق الداخلية والخارجية و عرضها في معارض دولية كنموذج زربية منطقة قرقور [14].

- ترجع أيضا مكانتها الحضارية لقيمتها التاريخية، وتواصل الحرفيين عبر العصور للحفاظ على هذه الحرفة التي شكلت خصوصيات المجتمع الجزائري الثقافية من خلال طريقة صناعتها واستخدام الألوان وتقنيات التزيين بمختلف ألوان الصباغة، رغم الاختلاف الثقافي الحاصل بين الأقاليم الثلاثة الكبرى خلال الفترة الاستعمارية، كزربية بني راشد بالغرب الجزائري أو زربية جبل عمور بالأطلس الصحراوي الغربي وزربية منطقة قرقور بعملتي الجزائر و قسنطينة، حيث تتضح أمامنا مدى احتفاظ لمجتمع الجزائري بهويته الثقافية، التي تعتبر جزءا مميزا لحضارته التي امتزجت مع الوافدين العرب المسلمين

13 -Revoir le document Algérien ,rubrique Artisanat 1945-1954 des études concernant série économiques y compris le Tapis traditionnel

14 - Gérard Boëly, Pierre Guichard et Mahmoud Ourabah ;op cit

الفاتحين والعثمانيين والاوربيين عموما. كما اعتمد المجتمع الجزائري على هذه الحرفة لتلبية حاجياته الاجتماعية في مجال تزيين المساكن واستقبال الضيوف.

نستخلص مما سبق لنا ذكره، بأن حرفة الزربية التقليدية أو الحديثة التي تم ادخال بعض الوسائل العصرية عليها حلال الفترة الاستعمارية، اعتبرت من أقدم الحرف لارتباطها بتطور المجتمع الجزائري الحضري والريفي لمكانتها لدى العائلات والقبائل الجزائرية المرتحلة ؛باعتبارها ذات أهمية بالغة في تأثيث البيت بأفرشة الزربية بمختلف أنواعها وكذا ذات مكانة اقتصادية بالنسبة للحرفيين، الذين اعتمدوا عليها في مدخولهم السنوي، واعتبرتها العديد من المصادر سابقة الذكر كمنوغرافية القرى والمدن بالجزائر ونشرية الوثائق الجزائرية التي خصصت لها في سلسلتها الاقتصادية حيزا علميا لمكانتها الثقافية الحضارية لدى المجتمع الجزائري .

3 - نماذج مقارنة لأنواع الزربية في العمالات الثلاث بالجزائر

إن تصفحنا للمصادر الفرنسية من نشرات رسمية وجرائد استعمارية، بأن الادارة الاستعمارية أولت اهتماما بالغا بمجال التكوين الحرفي للجزائريين لأصناف عديدة من أنواع الزربية ومجالات تكوين اليد العاملة الحرفية لها، حسب تواجدها بالعمالات الثلاثة خلال الفترة الاستعمارية، بالتركيز على التكوين للحفاظ على خصوصياتها .

أشارت نشرية الوثائق الجزائرية بمختلف أعدادها ما بين سنتي 1945-1954، بابراز جهود الحكومة العامة في الجزائر وتخصيص ميزانية كبيرة لصالح البلديات، لبناء مراكز تكوين خاصة بحرفة الحرف عموما وحرفية الزربية على وجه الخصوص؛ حيث تطرقت لأهم مراكز التكوين المختلفة من خلال نماذج مميزة بالعمالات الثلاثة [15] :

3-1- اهتمام الإدارة الاستعمارية بحرفة الزربية بعمالة وهران

اهتمت الإدارة الاستعمارية بحرفة الزربية فيما يلي:

- بمنطقة جبل عمور التي تشتهر بالزربية التقليدية، فقد تم انشاء مركز تكويني خاصة بالورشات الموجودة، خاصة مركز أفلو للسجاد ومركز البيض للنسيج سنة 1952 خاص بأنواع مختلفة لصباغة الزربية، حيث تخصصت المنطقة بالخيم الرفيعة وبنت مركزا تجاريا لبيع هذا المنتوج الحرفي لأسواق تيارت وأفلو والسوقر، وأما بالبيض تم فتح ورشة تكوينية

- 15- يراجع العديد من المصادر و المراجع التي تناولت بالتفصيل اهتمام الإدارة الاستعمارية بالتكوين الحرفي بمختلف مناطق الوطن :

-Documents Algériens 1945-1954 ,op cit

-علي زارقة، مرجع سابق

للبنات بتأطير من الاخوات البيض وأيضا بأدرار وتيممون لانتشار الزربية الصحراوية للسكان الرحل شكل محدود.

-مركز ب قلعة بني راشد التي اشتهرت بصناعة الزربية المحلية المندمجة مع تأثيرات مشرقية وعثمانية، حيث تم بناء مركز تكوين مهني بمعسكر بساحة بابا علي لتوفير اليد العاملة الحرفية والمتربصين لهذه الحرفة وتشجيعها بالمكانات البشرية و المادية .

- أما بتلمسان وندرومة تم انشاء مراكز تكوين للحرفين بسبب انتشار ورشات النسيج والزربية بمختلف أنواعها، حيث عرف التكوين اهتماما من قبل السكان والإدارة الاستعمارية معا .

3-2- واقع حرفة الزربية بعمالة الجزائر وجنوبها بغرداية والاغواط [16] :

اهتمت الإدارة الاستعمارية بنشاط حرفة الزربية لدى الجزائريين بعمالة الجزائر وجنوبها بإنشاء مراكز تكوين حرفية بالمدن الكبرى، كالجزائر العاصمة وشرشال ولمدية والاغواط وغرداية لتكوين يد عاملة حرفية، تمتهن هذه الحرف وادخلت بعض الأساليب العصرية عليها لزيادة الإنتاج، بسبب الطلب المتزايد عليها، بحيث عرفت زربية منطقة قرقور انتشارا واسعا و عرفت نماذج منها بمعارض دولية، خاصة بفرنسا .

عرفت أيضا المناطق الريفية بمنطقة القبائل وبالهضاب الوسطى اهتمام الإدارة الاستعمارية بتكوين يد عاملة مؤهلة في مجال الصناعات الحرفية، خاصة حرفيو صناعة الزربية التي حظيت باهتمام بالغ من قبل المجتمع الجزائري بمختلف فئاته .

وبمنطقة غرداية، عرفت حرفة الزربية التقليدية مكانة هامة لدى المجتمع المحلي ومن الإدارة الاستعمارية التي سعت لتكوين يد عاملة خاصة بهذا الغرض ومساعدة المشتغلين بها ماديا و تكوينيا .

3 -3- واقع حرفة صناعة الزربية بعمالة قسنطينة وجنوبها

عرفت حرفة الزربية بعمالة قسنطينة خاصة مناطقها الداخلية كالأوراس والجنوب الشرقي بها، أمثال بسكرة وواد سوف اهتماما بالغا من قبل المجتمع الجزائري وكذا السلطة الاستعمارية بإرساء مبدأ التكوين والحفاظ على الموروث الحضاري، خاصة بمنطقة تبسة وبرج بوعريريج وكذا الحفاظ على زربية منطقة قرقور ذات الطالع العثماني التي حافظت على أهميتها لغاية بداية القرن العشرين، ولأجل الحفاظ على استمراريتها لدي الجزائريين، قامت الحكومة العامة في الجزائر بتكوين يد عاملة حرفية بمراكز التكوين الحرفية بسكيكدة وسطيف وميلة .

16 -DOCUMENT Algérien N° 102 Paru le 22-7-1953

-أما بالهضاب العليا القسطنطينية كباتنة وخنشلة اهتمت الإدارة الاستعمارية بإنشاء مراكز تكوين للعديد من الصناعات الحرفية كالنسيج والجلود وصناعة الزربية .[17]

-أما بجنوب العمالة، ببسكرة وواد سوف اهتمت الادارة الاستعمارية ببناء مراكز تكوين حرفية بمساعدة الاخوات البيض والإباء المسحيين في ترقية هذه الصناعة والحفاظ عليها بمساعدة الإدارة الاستعمارية من أجل فرض هيمنتها على مراكز التكوين، في حين كانت ورشات التكوين الخاصة تنتشر ببيوت الجزائريين، وهو ما يمثل في نظرنا تمسك المجتمع الجزائري بهويته و تراثه وخصوصياته الحضارية .

- واجهت الجزائريين عدة مشاكل في مجال التكوين وإيجاد مناصب عمل قارة بالنسبة للحرفيين المتكونين وكذا صناع الزربية، بسبب منافسة الزربية المعاصرة ونقص الأموال والقروض الخاصة بهذه الحرفة، التي عرفت تراجعا في هذه الفترة من خلال تقارير المختصين والمشرفين على حرفة الزربية من المسؤولين الفرنسيين على هذا القطاع، حيث قدموا حلولا عاجلة للحفاظ على هذا الموروث التقليدي، حسب ما ورد من دراسات متخصصة في مجال الحرف التقليدية و نشرتها دورية الوثائق الجزائرية التي كانت تهتم بالمجتمع الجزائري واهتماماته[18] والمشاكل التي كان يعاني منها الحرفيون الجزائريين .

نستخلص مما سبق لنا ذكره من خصوصيات حرفة صناعة الزربية التقليدية بالعمالات الثلاثة في هذه الفترة، من خلال دراسة نماذج منها، المتعلقة بهذه الحرفة في بيوت الجزائريين او في مراكز التكوين الخاصة التي اقمتها الإدارة الاستعمارية من خلال مصلحة الحرف التقليدية، مواكبة لتطلعات المجتمع الجزائري الذي حافظ على هذه الحرفة بشكل خاص في الفترة التي اعتمدتها كنموذج لهذه الدراسة .

خاتمة: عرفت حرفة صناعة الزربية التقليدية مكانة بالغة لدى الاسر الجزائرية الريفية والحضرية، كما اشتهرت مناطق عديدة عبر الوطن بحرفيين مارسوا هذه الصناعة التقليدية واهتموا بمختلف أصنافها والحرف المساعدة لها بمختلف أشكها، مثل الصباغين والرقامين أي الفنانين في مجال ألوان الزربية وخطوطها وألوانها المتشابكة والمتنوعة.

قدمت لنا المصادر الفرنسية من دراسات متخصصة منشورة في دوريات الحكومة العامة في الجزائر وفي التقارير الإدارية لولاة العمالات الثلاثة وكذا رؤساء البلديات الكاملة الصلاحية والمختلطة والحكام العسكريين للأقاليم الجنوبية، معلومات تاريخية عن حرفة الزربية

17 -Ibid

18 -documents Algériens.N°29 paru le 27 février 1950 ;cf documents algériens N° 39 paru l e25 -01-1949

وباقي الحرف الاخرى التي اعتمد عليها الجزائريون في مختلف شؤونهم الاقتصادية والاجتماعية.

وبذلك نستخلص، بأن هذه الحرفة تندرج ضمن خصوصيات المجتمع الجزائري وثقافته الأصيلة من خلال اتقانها وتلونيها بألوان تعكس مميزات كل منطقة ومدى تأثرها بصناعة الزربية في المشرق والمغرب.

تحدى الحرفيون الجزائريون مختلف المشاكل والمعوقات البشرية والمادية لمواصلة هذه الحرفة وفق أسليب تقليدية، و دمج بعض الأساليب العصرية عليها .

استفادت اليد العاملة الحرفية من التكوين الذي وفرته لها الإدارة الاستعمارية لتحدي منافسة الصناعات الحديثة من أجل الحفاظ على خصوصيات الزربية الجزائرية حسب النماذج المقدمة.

تمكن المشتغلون في هذه الحرفة من ابرازها خلال المعارض الوطنية والدولية وكذا خلال العمل التجاري، رغم المشاكل المادية التي واجهت هذه الحرفة.

وخلاصة القول، فإن صناعة الزربية التقليدية ساهمت في الحفاظ على المورث التاريخي والحضاري للمجتمع الجزائري، الذي كان ينبض بالحياة، رغم ظروفه المعيشية الصعبة خلال الفترة الاستعمارية وانعكاساتها عليه سلبا في كثير من الأحيان.

الببليوغرافية:

أولا - باللغة العربية

1- بختاوي خديجة :"الحرف في عمالة وهران غبان الاحتلال الفرنسي من خلال وثائق أرشيفية "مجلة العبر للدراسات التاريخية و الاثرية في شمال افريقيا بجامعة تيارت عدد خص **02**، أفريل **2022** ص **383-359**

-2بليل محمد، المجالس العامة للعمالات في الجزائر وقضايا الجزائريين ج2، دار سنجاق االدين للنشر التوزيع الجزائر ،

-3 - زارقة علي :" العادات و التقاليد بجنوب تيارت خلال الفترة الاستعمارية **1830-1872**، جبال عمور نموذجا " مجلة العبر للدراسات التاريخية و الأثرية بجامعة تيارت، عدد خاص **02**، أبريل **2022** ص **113-290**

ثانيا - باللغة الأجنبية

1 - Boëly Gérard ,Pierre Guichard et Mahmoud Ourabah « Autour d'un « tapis du Guergour » présenté à l'exposition universelle de Paris de 1889 », *Revue des mondes musulmans et de la Méditerranée* [En ligne], 149 | 2021, mis en ligne le 21avril 2021, consulté le 27 janvier,2024. URL :http://journals.openedition.org/remmm/15028 ; DOI : https://doi.org/10.4000/remmm. 15028 site électronique entré le 27-01-2024.

2- Bovet Marie-Anne ;L'Algérie , E. DE BOCCARD, EDITEUR, Successeur de FONTEMOING & Cie,1, RUE DE MÉDICIS, 1 PARIS 1 9 20 p 187-190
- Centre Archive d'Outre Mer(CAOM), arrondissement de Tiaret , Étude géographique de département de Tiaret, Boite N°7G/1009
3- DR Chaw Voyage dans la Régence D'Alger, traduit de L'Anglais J. Mac Carthy Mardin Éditeur Paris 1830 p10-20
4- Gouverneur Général de L'Algérie M.C. Jonnart Exposé de la situation des territoires du sud 1909 ed Typographie Adolphe Jourdan Alger 1910 p82
5- G.G.A documents Algériens artisanat en Algérie, Synthèse de L'Activité Algérienne 1953 p31-35
6- GGA - Documents Algérien série économique Artisanat du Tapis 3 décembre 1953 N014
7- G.G.A ,Document Algérien : « Artisanat Traditionnel dans le département D'Alger et les territoires de Ghardaïa »paru le 21 septembre 1853
8- G.G.A , DOCUMENT Algérien N° 102 Paru le 22-7-1953
9-GGA , documents Algériens.N°29 paru le 27 février 1950 ;cf documents algériens N° 39 paru l e25 -01-1949